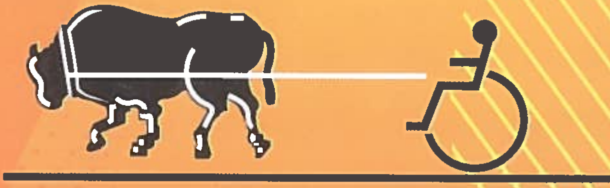


أمسكت
بيدي اليمنى



▪ تكفيك نعمتي.
▪ لماذا أنا بالذات؟

متحف النعمة

إسحق إسكندر

سلسلة ملء الجباب

العدد الواحد والثلاثون

يونيو ٢٠٢١

أمسكت بيدي اليمنى

- تكفيك نعمتي.
- لماذا أنا بالذات؟

متحف النعمة

إسحق إسكندر

الـــسلسلة: ملء الـــجبـــاب

الـــــكتاب: تكفيـــــك نعمتى

الـــــكاتب: إســحق إســـكندر

لـــلـــتواصل: كنيسة الإخوة بالجيزة
٧ ش الدرى
ميدان الجيزة

تلـــيـــفون: ٠١٢٨١٨٨٧٥٨٨

كمبـــيــــوتر: Pateer Center

تصميم الغلاف: م. مرزق وجيـــه

مطبـــــعة: أوتو بــــرنت

إيــــداع رقم: ١١٦١٧ / ٢٠٢١ بدار الكتب

ترقيـم دولـــى: 978-977-90-8993-5

فهرس

سلسلة ملء الجباب

صدر منها

١- ملء الجباب (طبعة ثانية)
٢- تكفيك نعمتي (نفذ)
لماذا أنا بالذات؟ (نفذ)
٣- كرسى المسيح (نفذ)
٤- حبيب الرب (طبعة ثانية)
٥- أرى الدم
ثلاثة أبكار
أربع معارك
٦- على الشجوية
ظل الموت
٧- روشتة للألم
٨- كاهن عظيم
٩- السجين الحالم
١٠-ميمى بك
١١-مجاهد فى الجبانة
١٢-رئيس الخلاص
١٣-وأنت تبقى (طبعة ثانية)
١٤-لنا شفيع (طبعة ثانية)
١٥-محطة الأتوبيس
حجرة الفئران
١٦-رائد وسلطان
١٧-لا تهتموا بشئ (طبعة ثانية)
١٨-الاختيار الأزلى
١٩-حقوق المسيح ج ١
٢٠-حقوق المسيح ج ٢
٢١-حقوق المسيح ج ٣
٢٢-حتى الموت
٢٣-الورقة الأخيرة
٢٤-سر الله
٢٥-حتميات لاهوتية ج ١
٢٦-الشاويش بركات
٢٧-حتميات لاهوتية ج ٢
٢٨-الست عواطف
٢٩-حتميات لاهوتية ج ٣
٣٠-حتميات لاهوتية ج ٤

- ✤ Upon Shiggaion
- ✤ The Shadow of Death
- ✤ The Brass Serpent (نفذ)

الطبعة الثانية

تكفيك نعمتي

هذه رسالة أرسلتها إلى أحد الأحباء فى مرضه الأخيـر.. وقبل انتقالـــه بشهور قلـيـلــة.. ونشرتها فى العدد الثانى من هذه السـلسلة فى طبعتيها الأولى والثانية.. ولما نفذت الطبعتان، قام بعض الأحباء (من مذهب آخر، بطباعتها لحسابهم، لتوزيعها بمعرفتهم).

الــغرض من هذا السـرد، هو أن محتوى هذه الرسالة لم يعد سراً.. إلا أننى فى كل هذه الطبعات قد أخفيت إسم المرسلة إليه الرسالة، باعتباره سراً.. إذ لم يكن يمكننى استئذانه، لانتقالــه.. أما وقد مضى عليـها ٣٨ عاماً، فإنه يـنطبق عليها ما ينطبق على الوثائق السرية التى يفرج عنها بعد ٣٠ سنة.

لـذلك أجدنى فى حِلٍّ إن ذكرت اسم المرسلة إليه: رجل الله المبارك، وخادم الرب الأميـن، ومفسـر "كَلِمَةَ الْحَقِّ بِالاسْتِقَامَةِ" (٢تى٢:١٥).

تكفيك نعمتى

الجيــزة فى مارس ١٩٨٣
الفاضل والمحبوب فى الرب
الــــدكتور/ نبيــه إســحق
الــــــــــــنعمة معك

نما أمس إلى علمى أمر وعكتك.. وهناك جبلان، نقف عليـهما ونرى من فوقهما هذا الأمر أو غيره.

أولهما: **جبل المر** (نش ٤)، أو المريا (تك ٢٢).. نقف عليه ونبكى قتلانا.. ونترك العنان لشعورنا وعواطفنا ودموعنا.

ولا تحســبَنِّى مســتهيــناً بما أصابك أيها الحبيب إن قلبت فوق شعورى "ماجورا".. وذلك حرصاً على ســلامتك.. وخوفاً من أن "تصعب عليك نفســك".. وعســى ألا يتســرب جزء من الدموع من تحت هذا "الماجور" وتراها، فيســيئك رؤيتها.. وألا تتسلل بعض الأنات المرفوعة من أجلك وتسمعها، فيبكيك سماعها.

ودعنا نتذكر أن **تل اللبان هو ملازم لجبل المر** (نش٤).. وأن شهادة اللبان العطرة لإبراهيــم كانت ملازمة لجبل المريا (تك٢٢).. كذلك تلك الشهادة للشونمية (عب١١).. كانت ملازمة لمرارة موت وحيدها.

فلنفعل إذن ما فعلاه: إبراهيــم والشونميـــة فالأول رفع عينيه "وَإِذَا كَبْشٌ وَرَاءَهُ مُمْسَــكًا فِي الْغَابَةِ بِقَرْنَيْهِ" (تك ٢٢:١٣).. والثانية رفعت القضية برمتها إلى العليــة (٢مل ٤) وأحكمت تثبيــت "الماجور"، إذ أغلقت الباب.. ثم رفعت عينيها.. وقلبها.. بل ورجليها (تك ٢٩:١) سعيا الى رجل الله.

والنتيجة معها ومع إبراهيم هى "يهوه يرأه".

أما ثانى هذين الجبلين فهو "**رأس الفسجة**" (عدد٢٣، تث٣٤).. ومن يقف عليه حتى ولو كان بلعام.. "لَمْ يُبْصِرْ إِثْمًا فِي يَعْقُوبَ، وَلاَ رَأَى تَعَبًا فِي إِسْـرَائِيلَ" (عدد٢٣:٢١).. مع أن الأمر فى حقيـقته مخالف لذلك تماما.. لكنها "رؤيـا القدير".. ونظرة العيـون المكشوفة (عدد٢٤).. والتطلع الى الأمور من وجهة نظر الله.. الذى "يَدْعُو الأَشْيَاءَ غَيْرَ الْمَوْجُودَةِ كَأَنَّهَا مَوْجُودَةٌ" (رو٤:١٧).

تذهب الصحة وتصيـر غير موجودة، لكنها من "رأس الفسـجة"، كأنها مـوجودة.. تفتقر إلى أشياء كثيرة، لكنها من "رأس الفسجة" كأنها موجودة.. كيف يتم ذلـك عمليـا؟.. أهى أضغاث أحلام نتوهمها بوجود غيـر الموجود؟.. كلا بل هى النعمة، التى تعوضنا عن كل نقص وعن أى شوكة وعما فقدناه أو نفقده.

بل دعنى أقول لك ماهو أكثر من ذلك أننا نظن أحيـاناً أن الله يـلجأ الى الـنعمة يـجزلها لنا كحل للإشكال.. لكن من قال أن هناك لدى الرب إشكالاً؟.. إن الأمر على العكس من ذلك تماماً.

إن الله عـندما يريد أن يعطينا نعمة إضافية، فإنه يؤهلنا لقبولها عن طريق الضعف.. هذا الذى نظنه إشكالا.. فليـس ما أصابنا هو ورطة يقع فيها الله ويحتاث ولا يـجد له مخرجاً، فيسترضينا بشى من النعمة يعوضنا به عما فقدناه.. حاشا.. بل إن ما يسمح لنا به من نقص أو ضعف، إنما هو تأهيل لقبول النعمة.

أم كان أليـشع عاجزاً عن إبادة جيـوش أرام بدلاً من ضربهم بالعمى؟.. كـلا.. إذاً لماذا ضربهم بالعمى ولم يهلكهم؟.. أهو عقاب مخفف؟.. كلا.. إذاً ماذا؟.. إن أليـشع يـمثل ذاك الذى جاء مملوءاً نعمة وحقاً (يو١).. وقد أراد أن ينعم على هؤلاء القوم فيسـتحييهم.. سؤال يقفز: إذاً لماذا ضربهم بالعمى مادامت نيته حسنة تجاههم؟.. الجواب إنه فعل هذا لكى يؤهلهم عن طريق العجز لقبول النعمة.

فليس استحياؤهم تعويضاً لهم عن عماهم، بقدر ما أن عماهم هو التأهيل لاستحيائهم.

إن ضعفنا هو الحيثية التى نستمطر بها رحمته ونعمته ذلك "لأَنَّ قُوَّتِي فِي الضَّعْفِ تُكْمَلُ" (٢كو١٢:٩).

وللتأهيل شهادات أو قل بطاقات.. ودعنا نسرح ولو قليلاً.

تحسن الدولة صنعاً إذ تقدم الدعم للفقراء من المواطنين.. وهى تقدمه عادة عن طريق بطاقات تموينية عامة.

لكن هناك "كوادراً" من الشعب أفقر من أن تكفيها البطاقات العامة.. لهؤلاء يستخرجون بطاقات إضافية.. تارة يسمونها الفئوية.. و.. إلخ.

وما أُصبت به قديماً كان **بطاقة عامة**، أعطاها الرب لك، تقدمها لعرش النعمة - كمستحق للدعم - فتصرف بموجبها ما يلزمك من تموين النعمة.

لكن لأن "فقرك صارخ" أيها الحبيب، أو بالمنطوق الكتابى "مسكين بالروح" (مت٥) ولكن مضاعفاً، فكان لزاماً لك من **بطاقة إضافية**.. وما مرضك الأخير ألا هذه البطاقة الفئوية الجديدة.. أعطاها لك الرب، ويعطيها للفئة التى تماثلك من المحتاجين.

فلكى نصرف احتياجنا من النعمة الإضافية لابد لنا من هذه البطاقات الجديدة يعطيها لنا الرب مسبقاً.. نقدمها لعرش النعمة فنصرف بها التموين الإضافى.

ودعنى من قلب منكسر أهنئك بهذه البطاقة الجديدة.. وأعرض عليك: "إن كنت تعبان الشهر ده أصرف لك التموين من عرش النعمة.. وأبعته لك".

كما أني أود ان تحتفظ بهذا السـر إن أنا همسـت به فى أذنك، وهو أن أخاك كاتب هذه السطور يزيد عنك درجة فى هذه النواحى.

فهو لا تكفيـه الـبطاقة العامة، ولا حتى الفئويـة الخاصة التى تصرف لمدقعى الفقر.. إنه معدم.. لذلك فهو يتقاضى **معاشاً اسـتثنائياً**.. إنه كالأرملة واليتيم (تـث ٢٤).. بل فاقهما.. فربما تزوجت الأرملة، فلا تبيت أرملة.. وحتماً يكبر اليتيم، فلا يغدو يتيماً.. لكن أخاك "**مربوط**" على درجة يتيم.. حماك الله وجنبك أمثاله.

وأرجو ان أتمكن قريـباً من رؤيـتك معاف، وأن أرسـل إليـك بعض الوريقات الآخرى عن المعاش الإستثنائى، الذى أتقاضاه.

وفى نبذة مختصرة، إن كان الدعم هو النعمة، فما المعاش الاستثنائى إلا المجد.

وإن كان الـحصول علـى الـدعم يـتطلـب **التقدم** إلى "عرش النعمة" (عب٤:١٦)، فإن المعاش الاسـتثنائى **يـصلك وأنت فى مكانك**.. دون أن تطلب.. فأنت فى شدة ضعفك وعجزك غير قادر على التقدم إلى عرش النعمة، ولا الوقوف على مشارف المجد.

كيـف إذاً يصل هذا المعاش إلينا؟.. ذلك بواسـطة الروح القدس واصلاً إلينا، وحالاً علينا.. لكن بأى صفة له؟.. هو سـاكن فينا.. لكنه فى وقت ألمنا يحل علينا بصفته "**روح المجد**".. لاسـيما وإن كان ألمنا هذا بسـبب ارتباطنا بالمسيح.. لأنه "إِنْ عُيِّـرْتُمْ بِاسْـمِ الْمَسِـيحِ، فَطُوبَى لَكُمْ، لأَنَّ **رُوحَ الْمَجْدِ** وَاللهِ يَحِلُّ عَلَيْكُمْ" (١بط٤:١٤).

سلامى لأفراد أسرتكم الكريمة

والرب معك

أخوك

إسحق إسكندر

ترنيمة

أيــها الـــســائح فى الـــبريــة   نعمتى تكفيـــــــــــــــــــك
أيــــــها الـــمفتقر ذو الـــحاجة   نعمتى تكفيـــــــــــــــــــك
أيــها الـــمســكيـــن هاك قوتى   نعمتى تكفيـــــــــــــــــــك

أيــها الـــشاعر بالضعف افتخر   نعمتى تكفيـــــــــــــــــــك
حيـــــنما أنت ضعيـــف فانتظر   نعمتى تكفيـــــــــــــــــــك
قوتى فى ضعفك ســـــــتنتصر   نعمتى تكفيـــــــــــــــــــك

جئ إلـــى ضع علــــى كل شئ   نعمتى تكفيـــــــــــــــــــك
إننى الـــرب الـــعظيـــم الأبدى   نعمتى تكفيـــــــــــــــــــك
فتشـــجع يـــابــــنى انظر إلـــى   نعمتى تكفيـــــــــــــــــــك

الطبعة الثانية

لماذا أنا بالذات ؟

أوراق من رسالة إلى فتاة تقية دهمتها سيارة.. ورأى الأطباء أنها ستقضى بقية عمرها رهينة الكرسى المتحرك.

لماذا أنا بالذات؟

العجمى فى مايو ١٩٨١
الأخت الفاضلة
النعمة معك

....

نأتى الآن إلى موضوعنا، وهو سؤال روحى محير لا نجد عليه إجابة بسهولة.

ولعلك الآن قد عرفت ماهو السؤال.. وهو لماذا يسمح الله لى بهذا؟.. ولماذا لا يحدث هذا مع غيرى؟.. لماذا ألمى شديد، بينما غيرى أقل ألماً؟.. لماذا أجد أن الألم هو طابع حياتى، بينما أقرب الناس إلىَّ لم ولن يجتازوا فيما اجتزت فيه أو فى جزء منه؟.. لماذا يكون غيرى بسعادته شاهداً على أن المسيح مصدر للسعادة والفرح، وأنا بحزن وكآبتى وآلامى - هكذا أظن - صورة أليمة مقدمة للعالم، وموضوعاً لرثاء الأشرار قبل المؤمنين كما حدث مع أيوب؟.. أود أن أكون سعيداً، وظروفى سهلة وحياتى ميسرة كغيرى من المؤمنين، وذلك بإخلاص منى، ورغبة مقدسة فى استثمار هذه السعادة وتلك الظروف فى خدمة الرب.. فلماذا لا يحدث هذا، وإنما العكس؟.. أنا أتساءل والناس أيضاً تنظر وتتسائل، وتشير بأصبع الاتهام إلى المجرب والمتألم.. كما أشاروا إلى الرب فوق الصليب.

لقد كنت أرى غيرى من المؤمنين ومنهم أقرب الناس إلى وهو والدى.. كنت أراه شيخاً موقراً محبوباً من الجميع، عاش حياته كلها لم يُسمع له صوت، ولم يغضب منه أحد، ولم يدخل فى مشاكل من أى نوع مع أى شخص.. مع أنه خدم الرب مدة طويلة، كانت كافية لإثارة مشاكل كثيرة بينه وبين الآخرين.. لكنه عاش فى سلام عظيم. . داخلياً وخارجياً، وكانت ابتسامته وحدها أبلغ من أى عظة، وكنت

أحـــسده واتمنى أن أكون مثله أو نصفه، وتمضى حياتى فى هدوء كما مضت حياته أقـدم المسيح فيها بصورته السماوية من خلال حياتى ومن خلال ظروفى.. فلماذا لم أصر مثلـــه؟.. مع أنى إبنه ومؤمن مثلـــه؟.. لقد حاولت كثيـــراً أن أكون مثله ولم تســـاعدنى الظروف، وفشلت تماماً.. وإذا بالخط الذى أســـير فيه مختلف تماماً عن الخط الذى ســـار فيـــه.. كلانا فى مجال الخدمة.. لكن ما أبعد الفرق.. كلانا مؤمن فلماذا أختلف عنه؟.. هل أنا أردأ منه؟.. هل الله غاضب منى؟.. لابد أن هناك شيـــئاً فى الأمر.. هكذا قلت لنفســـى.. وهكذا قال لى الأحباء والإخوة.. وهذا هو المنطق الـطبيعى لأشياء.. وهكذا كان رأى أصحاب أيوب فيه، أنه لابد أن يكون هناك خطأ ما فى الأمر.

فدفعنى هذا التســـاؤل إلى التفتيـــش عن خادم ظروفه تشبه ظروفى حتى أتعزى لمجرد معرفتى بوجوده، ولو فى كتب التاريخ الكنسى، فلم أجد.. قلت "بلاش" خادم، أى مؤمن عادى "ينفع"، فلم أجد مؤمناً عادياً يماثلنى.. قلت "بلاش" مؤمن، أى "واحد" غيـــر مؤمن "ينفع"، فلم أجد شخصاً غير مؤمن يشابهنى.. قلت أقرأ التاريخ، فـقرأت عن العظماء والفلاسفة ومشاهير هذا العالم، بل قرأت تاريخاً عن شخصيات لا يحترمها المجتمع المســيحى، مثل الذين يعملون فى الفن على ســـبيل المثال، فلم أجد من يـــتســـاوى معى فى ظروفى.. فلجأت إلى تاريخ القتلة والســـفاحين وعتاة المجرمين.. أقرأ فيه عنهم علنى أجد نفســـى فى واحد منهم، فلم أجد نفسي بين كل هؤلاء! صحيـــح أننى كنت أجد جزءاً من نفســـى عند بعضهم.. لكننى لم أجد هذه النفس مجتمعة فى واحد منهم.. هذه الكتلة الكبيرة المتشعبة والمتشابكة التى اجتمعت عندى.. والتى هى فى ختام الأمر مسكينة ومجربة وعاجزة.

وكان الســـؤال "**لماذا أنا بالذات؟**".. دون الآخرين؟.. صحيح أن الألم هو للكل، لكن لماذا يـــكون معيـــارى منه مع قلة من المؤمنيـــن مثلك، أكثر من غيرنا بصورة صارخة.. وبحسب ظنى معطلة للشهادة؟

وأخيـــراً وجدت الإجابة الجميلة والمريحة على صفحات الوحى.. ألم يقل الكتاب "نَامُوسُ الرَّبِّ كَامِلٌ يَــرُدُّ النَّفْسَ" (مز ١٩:٧).. لقد أنار عينى (مز ١٩:٨) ماجاء فى ســفر العدد، وهو ســفر البريـــة.. لقد وجدت فيه الإجابة المنشودة.. لقد وجدت أن الــمؤمنيــن أنواع.. ووجدت منهم نوعاً يــماثل حالتى وحالة كل متألم.. وحيث أن الكتاب للجميع، فقد جمع هذا الجزء كل أنواع المؤمنين.

إن لاوى وبــنيه: قهات وجرشون ومرارى، ليمثلون جميع أنواع المؤمنين (عد٣:١٧).. وفيـــه لا نجد جميـــع المؤمنين متشابهين فى أنواعهم، أو متماثلين فى ظروفهم.. لقد اقتربنا من إجابة السؤال.

وهناك نجد إجابة السؤال:

أولاً : عندما نقارن بين معانى أسمائهم.

وثانياً: عندما نقارن بين أدوار كل منهم فى الخدمة.. وما أُلقى عليه من مسئوليات.. بعضها سهل وبعضها صعب.

وثالثاً: عندما نقارن بين المعونات التى أعطاها الله لكل منهم.. وكانت على قدر نصيبه من التعب والمشقة.

أولاً : معانى الأسماء

فقهات معناها **محفل أو جماعة**.. وهو بهذا المعنى يمثل مؤمناً طابعه العام هو النجاح الاجتماعى، كما سنرى.

وجرشون معناها **غريـــب**.. وهو بهذا يمثل مؤمناً طابعه العام هو الغربة، والـــمعاناة منها بســبب اتباعه الرب، والنبذ من المجتمع واعتبار الناس له "كَأَقْذَارِ الْعَالَمِ وَوَسَخِ كُلِّ شَيْءٍ" (١كو٤:١٣).

أما مرارى فمشتق من المرار.. وهو بهذا يـــمثل مؤمناً طابعه العام الألم، والألم إلى درجة المرار.

ثانياً: دورهم فى الخدمة

فالقهاتيـــون: (أو قهات وبنوه) كانوا يحملون، ضمن ما يحملون، التابوت الـــذى هو رمز للمســـيـــح، ويـــغطونه ببعض الأغطيـــة.. وفوق الكل غطاء من الأســـمانجونى رمز للصفة الســـماوية التى للمسيح.. فهم يحملون المسيح ويقدمونه للعالم فى صفته الســـماوية.. وكل من يراهم، يرى هذا اللون الأسمانجونى، ويرى هـــذه المسحة السماوية فى حياتهم العامة والخاصة.. فى هدوئهم وصفائهم.. بل حتى فى ملامحهم وابتســـاماتهم.. ويـــوقرهم المجتمع كرجال الله، إذ أنهم يعطون أجمل صورة من صور المســـيـــح، ألا وهى صورته كالســـماوى فى هذه الأرض.. هذا بالإضافة إلى أنهم كانوا أيضا يحملون المنارة ويغطونها بغطاء اســـمانجونى إشارة للمســـيح كنور العالم (يو٨:١٢) أو النور السماوى الآتى إلى هذا العالم (يو١:٩).. فكما يقدمون المسيح للعالم فى التابوت - أى المسيح بشخصه - فإنهم أيضاً يقدمونه فى المنارة- أى المسيح بنوره.

والجرشونيـــون: (أو جرشون وبنوه) كانوا يـــحملون، ضمن ما يحملون، بعض الأجزاء من خيـــمة الإجتماع، كالغطاء العلوى الخارجى للخيمة، وكان كبيراً (أكـــثر من ٢٠متر × ١٥متر) وكان يصنع من جلود التُّخَس.. وهى حيوانات بحرية كالدرفيل أو فرس النهر (ســـيد قشطة) جلدها ســـميك وغير جذاب، لاسيما بعد أن تـــجف وتتشقق.. إشارة للمسيح منظوراً إليه من العالم كمن "لاَ صُورَةَ لَهُ وَلاَ جَمَالَ" (إش٥٣:٢).. فالجرشونيـــون يحملون بعض الأجزاء، لكن الجزء الأكبر من الحمل كان جلود التخس، (إذ أنها بهذا القدر تحتاج إلى أكثر من ثلاثيـــن رجلاً يـــحملونها ويـــســـيرون بها، إذا قدرنا للرجل عشرة أمتار مســـطحة يحملها)، أى أن غالبيتهم

يـحملون هذه الجلود.. فالطابع الغالب للجرشونيـيـن هو تقديم المسـيح كالغريب والـمرفوض من هذا العالم.. وبذلك فهم ليس عليهم الطابع الأسمانجونى كالقهاتيين، بل طابع جلود التخس الخشنة.. فهم يـحملون صليب المسـيح وطابع المسـيح فى غربته ورفضه من هذا الـعالـم، وبالتالى يـكونون غرباء.. أحيـاناً فى المجتمع فتحتقرهم العامة (عكس القهاتيـين).. وأحياناً فى عملهم فينبذهم زملاؤهم.. وأحياناً فى بيـوتهم فيـعاملون فيها كغرباء، لا أحد يلتفت إليهم أو يعتبر لكلامهم بل ربما عنفهم أهل بيـتهم كما فعلت مرثا بمريـم.. وأحيـاناً للأسـف الشديد بين إخوتهم المؤمنيـن، فلا يـوجد من يـفهمهم أو يقدر ظروفهم، بل على العكس ربما يلقون معاملة جافية أو قاسية من إخوتهم المؤمنين (شأن سيدهم فى زمان رفضه).

أما المراريـون: (أو مرارى وبنوه) فكانوا يـحملون بعض الأجزاء من خيـمة الإجتماع، ومن ضمنها الألواح وكانت ٤٨ لوحاً (رمزاً للمؤمنيـن)، وأيضاً الأوتاد والأطناب (الحبال)، التى كانت تسـتخدم للتثبيت (كرمز لتثبيت المؤمنين)، فهم المتألمون إلى درجة المرار كمعنى اسـمهم، لكن خدمتهم كانت التثبيت.. **وهل هناك ارتباط بين المرار والتثبيت؟**.. نعم.. لقد قال الرب لبطرس "وَأَنْتَ مَتَى رَجَعْتَ **ثَبِّتْ** إِخْوَتَكَ" (لـو٢٢:٣٢)، ومتى رجع بطرس؟.. لقد رجع بعد أن "بَكَى بُكَاءً **مُرًّا**" (لو٢٢:٦٢).. فبعد اجتياز **المرار** كان عليه أن **يثبت** إخوته.

فالمراريـون وقد اختبروا المرار فى حيـاتهم، ليسـت خدمتهم هى تقديم المسـيح فى صفته السماوية، فمن أين لهم بالأسمانجونى؟.. ولا حتى تقديم المسيح فى صفته كالغريـب فى هذا العالم، فمن أين لهم بجلود النخس؟.. فليس شرفاً فقط للمؤمن أن يحمل الأسـمانجونى، بل أيضاً حتى حمله لجلود التخس يعد غنى أعظم مـن كل خزائن العالم، إنه شرف لنا لا أن نقدم المسيح فقط فى صفته السماوية، بل إن تقديمه كغريب هو شرف كبير وامتياز عظيم لنا.. فـ"عَارَ الْمَسِـيحِ غِنًى أَعْظَمَ مِنْ خَزَائِنِ مِصْرَ" (عب١١:٢٦).. لكن من أيـن للمراريـين بهذا الشرف؟.. إنهم فى

أسفل القاع، لا هم أدركوا الأسمانجونى ولا حتى نالوا شرف حمل جلد التخس.. لقد طحنهم المرار، وسحقتهم التجربة.. وربما كانت تجربتهم مرضاً.. أو ضيقاً.. أو فقراً مدقعاً.. أو ألما نفسـيـاً.. أو ظروفاً شائكة يهون الموت أمامها.. وربما كانت مزيجاً بين هذا وذاك.. لا يهم نوع التجربة بل نتيجتها.. وماهى؟.. إنها المرار، وهذه هى صفة المراريــين وطابع حياتهم المســتمر أو المؤقت، أما خدمتهم فهى تثبيت المؤمنين، والسؤال عنهم، وافتقادهم فى ضيقتهم، واعتبار أن ضائقة هؤلاء الإخوة هى ضائقة لهم.. إنهم بذلك ينفذون قول الرسول: "اُذْكُرُوا الْمُقَيَّدِينَ كَأَنَّكُمْ مُقَيَّدُونَ" (عب١٣:٣).. ولا أريدك أن تنزعجى من قول الأطباء بأن أيامك ســتنقضى فوق كرسى متحرك، ولا من قولى بأن هناك مؤمنيــن طابعهم المســتمر هو المرار، فليكن ذلك لأنى لم أصل بعد إلى نهاية الكلام، ولا إلى المعونة المقدمة لكل نوع من الأنواع الثلاثة.

ثالثاً: التقدمات المعطاة لبنى لاوى

وترمز إلى المعونات المقدمة لكل نوع من المؤمنين.. لقد طلب موســى إلى رؤساء إسرائيل أن يقدموا لبنى لاوى ست عَجَلاَت واثنى عشر ثوراً، لجر هذه العَجَلاَت (عد٧:٣).. ثوريــن لكل عَجَلَة.. وكنا نظن أن توزيــع هذه العجلات والثيران ســيكون بالتساوى على بنى لاوى الثلاثة.. فيأخذ كل منهم عَجَلَتَيْنِ وأربعة ثيران.. لكن من قال هذا؟.. هل كانت مســئولياتهم واحدة، أو أحمالهم واحدة، حتى تكون المعونة واحدة؟.. هل من يحمل الأسمانجونى، كمن يحمل جلود التخس، كمن لا يـحمل شيئا سوى المرار؟.. كلا، أم لعل عند الله ظلماً؟.. حاشا (رو٩:١٤)، لذلك نرى أن توزيع هذه التقدمات كان كالآتى.

فبنوقهات: كان يكفيهم شرفاً أن يحملوا التابوت، ويكفيهم فخراً أن يغطونه بالأســمانجونى.. لــذلك فلم يـكن لهم شئ من التقدمات، إذ قد أخذوا كل شئ فى تقديمهم للمسيح فى صفته السماوية، وهذا يكفيهم.

وبنوجرشون: كان نصيــبهم عَجَلَتَيْــن وأربعة من الثيــران، وهى تقدمة تتناسب مع خدمتهم.. لقد أخبر الرب المؤمنين بأنهم سيكونون غرباء فى هذا العالم، وهذا أمر **طبيــعى** بالنســبة للمؤمنيــن.. قال عنه الرب: "إِنْ كَانُوا قَدِ اضْطَهَدُونِي فَسَــيَضْطَهِدُونَكُمْ" (يو١٥: ٢٠).. لذلك فإن التقدمة لبنى جرشون كانت تقدمة **طبيعية** إذ أنها تساوى ثلث التقدمة الكلية.. وهذا هو الحساب **الطبيعى**.. فالمسئولية متوقعة، وبالتالى فهى عادية و**طبيعية**.. والمعونة بدورها عادية و**طبيعية**.

أما **بنو مرارى:** فكان نصيبهم أربع مركبات، وثمانية ثيران.. لماذا؟.. لأن خدمتهم كانت **غيــر طبيــعيـــة**، إذ تميزت بالمرار والتعب.. فهم **يحملون** الألواح (٤٨لوحاً - بطول ٥,٥٠ متر وعرض ٠,٧٧ متر تقريـــبا للوح الواحد، أى بحجم يـــزيـــد عن المتر المكعب فإن أضفنا إليه وزن الفضة وكانت ٩٠ كيلوجراماً، لزاد وزن الــلوح عن الطن بخلاف وزن الذهب).. وبالإضافة لحمل كل هذه الألواح فقد كان على المراريـــين دق الأوتاد وشد الحبال.. وفى ذلك كله رمز **لحمل** المؤمنين، والاشتراك فى أثقالهم، و**تثبيـــت** من يضعف منهم.. الأمر، الذى ناء بثقله موســى نفسه فى يومه، حتى أنه قال: " أَلَعَلِّي حَبِلْتُ بِجَمِيعِ هذَا الشَّعْبِ؟ أَوْ لَعَلِّي وَلَدْتُهُ، حَتَّى تَقُولَ لِي **احْمِلْهُ** فِي حِضْنِكَ كَمَا يَــحْمِلُ الْمُرَبِّي الرَّضِيعَ" (عد١١: ١١، ١٢).. لذلك فإن التقدمة للمراريين كانت تقدمة **فوق العادية**.. والمعونة **استثنائية**.. وهذا ما نراه فى شخص كالرســـول بولس، الذى حمل ضمن ماحمل هذه الصفة المرارية، إذ أن ملاك الشيطان لازمه دون مفارقة ليلطمه، وبصفة مســـتمرة (٢كو١٢: ٧)، وكانت خـدمته (ضمن خدمات كثيرة) هى حمل المؤمنين وتثبيتهم.. إذ قال "كُنَّا مُتَرَفِّقِينَ فِي وَسَــطِكُمْ كَمَا تُرَبِّي الْمُرْضِعَةُ أَوْلاَدَهَا، هكَذَا إِذْ كُنَّا حَانِّينَ إِلَيْكُمْ..." (١تس٢: ٧، ٨)، وأيضاً "التَّرَاكُمُ عَلَيَّ كُلَّ يَوْمٍ، الاهْتِمَامُ بِجَمِيعِ الْكَنَائِسِ. مَنْ يَضْعُفُ وَأَنَا لاَ أَضْعُفُ؟ مَنْ يَعْثُرُ وَأَنَا لاَ أَلْتَهِبُ؟" (٢كو١١: ٢٨، ٢٩).

فالصفة لبولس من هذه الناحية، كانت مرارية بالشوكة، وبغير الشوكة.

و**الخدمة**، كانت حمل المؤمنين وتثبيتهم.

و**المعونة**، كانت نعمة فائقة أعطيت له تتناسب مع الشوكة، وتتناسب مع الخدمة، بل وتفوق الاثنتين.

وهذه المعونة ليست فقط لبولس، بل تعطى أيضاً لجميع الذين لهم نسبة من المرار فى حياتهم.

كما أود أن أقول لك أن خضوعنا لجرعتنا من المرار ليس اختياراً نقبله حباً فى المسيح.. فلا أحد يقبل المرار، أو **الشوكة** - وهى أحد جوانبه - بسرور.. حتى بولس نفسه.. إذ صلى من أجلها "ثلاث مرات" (٢كو١٢: ٨).. مع أنه حباً فى المسيح خسر من أجله كل الأشياء (فى٣: ٨).. وأصبح لا يمتلك شيئاً فى هذا العالم.. أى صار غريباً يحمل **الصليب**.. أو بلغتنا الآن أصبح جرشونياً يحمل جلود النخس.. أما المرار أو **الشوكة** فمع أنه احتملها بسرور فيما بعد (٢كو١٢: ١٠) بعدما اختبر النعمة.. إلا أنه فى البداية أخذها رغماً عنه وليس تضحية ارتضاها: أو بلغتنا أصبح مرارياً.

لقد صار جوشونياً بالاختيار.. ومرارياً بالالزام!

وهذا يأتى بنا إلى الفرق بين الصليب والشوكة.. الأول: اختيارى كقول الرب "إِنْ أَرَادَ أَحَدٌ.... فلـ يَـحْمِلْ صَلِيـبَهُ" (لو٩: ٢٣).. أما الثانية: فإلزامية كما رأينا.. فارق آخر.. الشوكة تسبب إذلالاً لصاحبها، "لئلا أرتفع" (٢كو١٢: ٧) فيمسى منسحقاً منكسر القلب.. بينما الصليب يعطى حامله اختباراً من نوع آخر..كموسى الذى فضل أن يذل مع شعب الله.. وحسب "عَارَ الْمَسِـيحِ (مع أنه عار وإذلال) غِنًى أَعْظَمَ مِنْ خَزَائِنِ مِصْرَ" (عب١١: ٢٥، ٢٦)..وهذا ما اختبره الرسل أيضاً عندما "فَذَهَبُوا فَرِحِيـنَ مِنْ أَمَامِ الْمَجْمَعِ، لأَنَّهُمْ حُسِـبُوا مُسْـتَأْهِلِيـنَ أَنْ يُهَانُوا مِنْ أَجْلِ اسْـمِهِ"

(أع٥: ٤١).. إنه اختبار الفرح بالصليب.. واحتساب الشرف بالحصول على غنى أعظم.

فالصليب إختيارى، ومجد.. والشوكة إلزامية، وذل.

إن حامل الصليب جرشونى مُشَرَّفٌ.. وصاحب الشوكة مرارى مُذَلٌّ.

وهكذا نحن أيضاً، أحياننا يدخلنا الرب.. ولفترات تطول أو تقصر.. إلى عمق المرار.. وهذا رغماً عنا.. كما أدخل التلاميذ السفينة إلزاما.. "وَلِلْوَقْتِ أَلْزَمَ يَسُوعُ تَلاَمِيذَهُ أَنْ يَدْخُلُوا السَّفِينَةَ وَيَسْبِقُوهُ إِلَى الْعَبْرِ" (مت١٤: ٢٢).. ولم يكن عَبْراً فقط للبحر، قدر ما كان اجتيازاً للمرار، وعَبْراً لبحور أخرى من الألم، كتلك التى اجتازت فيها نفس سيدنا (مز٦٩: ١٤، ١٥)، تصغر أمامها بحور العالم قاطبة.

وإلزام الرب المؤمن بالدخول إلى هذه الأعماق هو لحكمة متنوعة، أحدها أن ندرك أبعاد هذا المرار ثم نعود فنثبت إخوتنا.. وحتى نتحمل هذا المرار ونكون قادرين على اجتيازه، ثم بعد ذلك قادرين على تثبيت إخواتنا، فإن الرب يعطينا نعمة مضاعفة بل وكافية تتناسب مع - بل وتفوق - هذا الحمل الثقيل.

إن أربع مركبات وثمانية ثيران كانت كافية للتخفيف عن كاهلهم جسامة التبعة وثقل الأحمال.. وكما تحمل المركبات أصحابها، فإن الملائكة تحملنا (مز٩١: ١٢).. بل والرب نفسه كذلك يحملنا بنعمته على الأذرع الأبدية (تث٣٣: ٢٧) وعلى أجنحة النسور (خر١٩: ٤).. وهذا ما ترمز إليه المركبات: إلى الحمل.. وإلاَمَ ترمز الثيران؟.. إلى الصبر وعدم الكلل.. إن الرب فى عنايته بنا وحمله إيانا "لا يكل ولا يعيا".. نحن نعيا.. لكنه "يُعْطِي الْمُعْيِيَ قُدْرَةً، وَلِعَدِيمِ الْقُوَّةِ يُكَثِّرُ شِدَّةً" (إش٤٠: ٢٩).

وهكذا ترين أن عدة السفر معدة، والمعونات محسوبة مسبقاً، ومجهزة قبل دخولنا دائرة الألم، وما على المرارى منا إلا ان ينظر إلى الرب "لِكَيْ نَنَالَ رَحْمَةً وَنَجِدَ نِعْمَةً عَوْنًا فِي حِينِهِ" (عب٤:١٦).. وبعد ذلك ينظر إلى إخوته المتألمين.. فيمد لهم يد المساعدة لتثبيتهم وتعضيدهم وتسنيدهم.

لكن الخطأ هو أن ننظر إلى إخوتنا -قهاتيين كانوا أو جرشونيين- ونقارن أنفسنا بهم، ولو كانوا أقرب الأقربين إلينا.. ثم نتسائل بعد ذلك.. "لماذا انا بالذات؟"

ذلك أن لكل مؤمن صفة معينة من هذه الصفات، وطابعاً خاصاً، أو مزيج من هذه الصفات الرئيسية الثلاث، ولكن بنسب تختلف من شخص لآخر.. وكما تعلمين فإن الألوان الرئيسية فى الكون هى ثلاثة، ومن مزجها بنسب متفاوتة يخرج مالا حصر له من الألوان، ولا يوجد لون مثل الآخر تماماً.

هكذا يقدم لنا الكتاب ثلاثة نماذج أو ثلاث صفات رئيسية للمؤمنين، ومن مزج هذه الصفات بنسب متغيرة نحصل على تركيبة متميزة، التى هى بالنسبة لكل مؤمن عبارة عن لون لا يتكرر مرتين، ولا يتشابه فيه مع غيره من المؤمنين.

هذه الصفة التى تميز المؤمن أو التركيبة الخاصة به، أو الوضع الذى يكون عليه، هو أمر معروف مسبقاً لدى الله.. وفى خطته الحكيمة أن يصل بكل منا إلى هذه الصفة المميزة.. فلا داعى للحزن أو اللانزعاج أو الحيرة.. إذ أنه على قدر نسبة المرار فى هذه التركيبة، تكون المعونة المعطاة لنا.. وعلى قدر الشوكة تجزل النعمة.. وإلهنا حكيم لا يفعل شيئاً ليس فى محله، وهذه هى إجابة السؤال.. إن جاز لنا أن نسأله، وهى إجابة طويلة لكنها كانت لازمة لى وحيوية.. ويخيل إلىَّ أنها لازمة أيضاً لكل متألم، حتى يستودع نفسه بين يدى الله الخالق الحكيم.. الذى خلقنا.. والذى يشكلنا حسب مايراه فى نفسه من جهتنا عندئذ يرنم:

يا نفسى ألقى همك … المضنى على الإله

ولا تخورى من جرا … مصائب الحياة

قومى أطلبى عوناً … من المخلص المجيد

وحاضرى بالصبر فى … جهادك الشديد

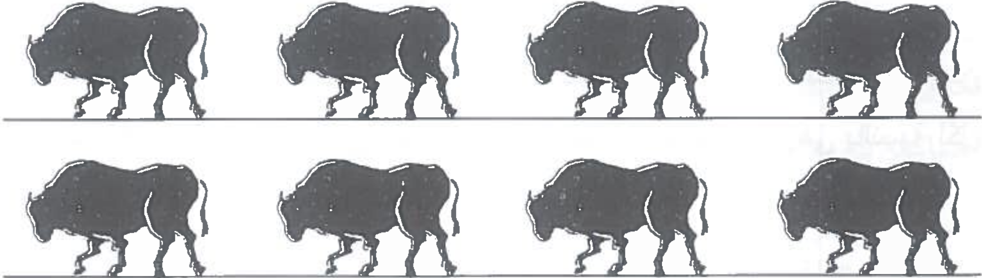
فالآن لا تدرين ما … يصنعه الحكيم

بل سوف تعلمين أن … رب السما رحيم

أخوك

إ.إ.

خلاصة القول





أيها المرارى المتألم.. ماهذا إلا رمز منظور

لجوانب غير منظورة من معونات النعمة

فإن كان الرمز لا يكفيك فإن

نعمتى تكفيك

الـــنعمة

❋ الــــنعمة: هى الله - مع كونه مطلقاً - واصلاً إليــنا.. ليــصل بنا - مع كوننا محدودين بل وخطاة أيضاً - إليه.. قائماً بما يستتبع ذلك من كلفة.

❋ النعمة.. أُعطيـــت لنا قبل الأزمنة الأزلية.. أين كنا وقتئذ؟!.. لقد أعطيت لنا فى المسيح يسوع (٢تى١:٩).

❋ نســتطيع أن نقول بداءة أن مســــتودع النعمة الأزلى هو المسيح يسوع.. الذى اســتقبل الــنعمة الــخاصة بكل منا أزلاً.. الــنعمة اللازمة لخلاصه - مروراً بمشورات الصليـــب.. فقد قدم المســيح نفســه لله بروح أزلى (عب٩:١٤) - واللازمة لرحلته.. واللازمة للوصول به إلى حضرة الله نفسه.. حاضراً وأبدياً.

❋ وعــندما جاء إلى عالمنا - ليقوم بالكلفة وهى موته الكفارى.. وبسبب **كثرة** هذه الـنعمة اللازمة - لأنه حيثما كثرت الخطية إزدادت النعمة جداً - جاء "**مَمْلُوءًا** نِعْمَةً وَحَقًّا.... وَمِنْ مِلْئِهِ نَحْنُ جَمِيعًا أَخَذْنَا، وَنِعْمَةً فَوْقَ نِعْمَةٍ" (يو١:١٤-١٦)، أى نعمة فى البداية.. ثم نعمة.. تتلوها نعمة.

❋ أيـــن نجد هذه النعمة اللازمة؟.. "فَلْنَتَقَدَّمْ بِثِقَةٍ إِلَى **عَرْشِ النِّعْمَةِ** لِكَيْ نَنَالَ رَحْمَةً وَنَجِدَ نِعْمَةً عَوْنًا فِي حِينِهِ" (عب٤:١٦).

❋ نســحب قدر ما نســحب من هذه النعمة.. ومع هذا لا ينضب معينها.. بل يظل الــملء ملئاً لا ينتقص.. فالجميع - ابتداء من أول من أدركته النعمة وحتى آخر من ســتدركه - يردون النبع فيجدون الملء لا يزال ملئاً لم يتأثر.. لماذا؟.. ذلك لأن هذا الملء هو فى الكلمة الذى صار جسداً.

☼ لذلك فليس المسيح يسوع مستودعاً مملوءاً بالنعمة فقط، كما سبقت الإشارة.. بل بالإضافة إلى ذلك أيضاً - ولأنه وحيد الآب (يو ١٣:١) - هو مصدر دائم لها.. وهذا هو **مجد النعمة**.. وهو فى ارتباطها بالمحبوب (أف١:٦).

☼ أما **غنى النعمة** فهو اتســـاع مظلتها لنغطى أشر - بل وجميـــع الخطاة - وفى انسحاب رقعتها بعد ذلك لتسد كل عوز وتكمل كل نقص.

☼ قـال أليشع للأرملة: "«اذْهَبِي بِيعِي الزَّيْتَ وَأَوْفِي دَيْنَكِ، وَعِيشِي أَنْتِ وَبَنُوكِ بِمَا بَقِيَ»" (٢مل٤:٧).. فالـــــنعمة متمثلة فى أليـــشع - رجل النعمة - أبعدت شبح الـــموت عن العائلة أولاً متمثلاً فى المرابى.. ثم تكفلت بعد ذلك بكل حيـــاتها.. "عيشى".. حقاً ونعمة فوق نعمة.

☼ نزل الســـامرى إلى الجريح لكى يرفعه من حالته المتردية (لو ١٠).. ثم يرفعه إلى دابته - أى إلى مقامه.. ثم إلى الفندق - أى إلى حالة الغربة.. ثم إلى رجاء رجوعه ثانيـــــة.. لكن فصول الرواية لم تكن قد كملت بعد.. طالما عجلة الحياة تدور.. ففى غنى الـــنعمة رصيـــد لدوران العجلة.. لذلك فقد "أخرج الســـامرى دينارين وأعطاهما لصاحب الفندق.. وقال له: "اعْتَنِ بِهِ، وَمَهْمَا أَنْفَقْتَ أَكْثَرَ فَعِنْدَ رُجُوعِي أُوفِيكَ" (لو ١٠:٣٥).. حقا ونعمة فوق نعمة".

☼ فى يوم قريب، ســـيفتتح متحف النعمة، وستفتح ملفات النعمة، وسيكون الإعلان الرائع عن غناها الفائق، هو من كانت فى يـــومها آنيـــة خزفيـــــة هشة.. لكنها باســـتقبالها للنعمة وصلت إلى ذرى المجد.. فماذا أقول ياللنعمة.. أم ياللمجد؟!! (أف٢:٧).

ففى الطريـــق الآن　　تحفظنا الـــــنعمة
حتى نراه بالعيـــان　　ونشـــكر الـــرحمة

متحف النعمة

رسالة إلى عروس امتدت يد الإرهاب إلى زوجها الطبيب فقتلته فى عيادته.

وإلى والدها ووالدتها، وشقيقتها.

أغلقت العيادة.. ثم رُحِّلت الأسرة.

متحف النعمة

الجيزة فى ١٩٩٥/٥/٣١
الفاضل والمحبوب
الأخت الفاضلة
الإبنة العزيزة
الإبنة العزيزة

إلـه كل نعمة (كل نوعيات النعمة) يفتح مقاصيره السماوية ويفيض عليكم بنوعية النعمة المناسبة لكم، وبالقدر اللازم لكفايتكم، لأنه "تَكْفِيكَ نِعْمَتِي" (٢كو ١٢: ٩).

ولست الآن بصدد الإجابة الشاملة على السؤال: "لماذا يارب يحدث هذا؟".. فهذا يدخل ضمن "سر الله" (رؤ ١٠) الذى سيكشف فى المستقبل.. ولن يُكشف للرد فقط على المتسائلين أو المحتجِّين، لكنه سيُكشف بالدرجة الأولى لتبرير الله فى كل ما يفعل أو يسمح به، وذلك أمام كل خلائقه، حتى يتم قول داود لله: "لِكَيْ تَتَبَرَّرَ فِي أَقْوَالِكَ، وَتَزْكُوَ فِي قَضَائِكَ" (مز ٥١: ٤).

كما أنى لست الآن أيضا بصدد تقديم حيثيات أدلل بها على صلاح الله حتى أبرره أمامكم فيما حدث، ذلك لأن ضمائركم - وضمائر كل المؤمنين - تبرره لسبب قوى، وهو أن صلاح الله قد ظهر - بما يقطع كل شك - فى الصليب.

لكنى أتناول فقط الإجابة على السؤال المذكور، من جانب واحد من جوانبه الكثيرة.. فربما كان فى هذه الإجابة قسط من التعزية.

والسؤال: "لماذا يحدث لمحبيك يارب مثل ما حدث"؟

والإجابة من زاويـــة واحدة فقط هى: أنه كما يـــريـــد الله شهوداً له على الأرض.. يريد كذلك شهوداً له فى الســـماء مســـــتقبلاً.. وهل فى السماء شهادة؟.. نـــعم.. شهادة لأى شيء؟.. لقد وصلنا وانتهى الأمر، فهل بقيت بعد شهادة؟.. نعم.. فلأننا ســـــنكون قد وصلنا وانتهى الأمر، ومضت معه "الأُمُورَ الأُولَى" (رؤ٢١).. فإن هناك شيئاً فى الأرض الأولى لن يســـتمر فى السماء.. ولأنه شيء عظيم كان ملازماً للأمور الأولى التى مضت، فإن الله يقيم فى السماء شهوداً لهذا الشئ.

أى شئ هذا؟.. هو النعمة.. النعمة، لأنها ملازمة للبرية ومصاحبة للسياح فـــيها، سينتهى تعضيدها لنا وعملها معنا بوصولنا إلى هناك وتسليمنا سالمين.. لذلك ســيـــقيم الله من يشهدون عنها شهادة غير كلامية، لكنها مدركة ومرئية فى هؤلاء الشهود.. كيـــف؟.. يـــقول الرســـول "لِيُظْهِرَ فِي الدُّهُورِ الآتِيَةِ **غِنَى نِعْمَتِهِ الْفَائِقَ**، بِاللُّطْفِ عَلَيْنَا فِي الْمَسِيحِ يَسُوعَ" (أف٢:٧).

بـــأى وسيلة يظهرها؟.. من خلال أوان للنعمة.. الأمر إذاً يحتاج إلى أوانٍ للنعمة.. وهذه كلما اتسعت جعبتها استوعبت نعمة أكثر.. حتى يتمكن الله من وضع هذه الأوانى مستقبلاً فى متحفه الدهرى، شاهدة على غنى هذه النعمة الفائقة.

ولأن غنى الله "**فائق**".. فالنعمة ليســـت فقط كثيرة أو فائضة أو غامرة أو وافـــية، بل هى "**فائقة**".. لهذا، ولأنها **نعمة فائقة**، لذلك فهى تحتاج إلى أوان متسعة أو **فائقة الاتساع**.

وحتى يتسع الإناء لابد من وضعه على الدولاب، ولابد من إدارة الدولاب بـــسرعة كبيرة حتى تتكون قوى طرد مركزى شديدة تدفع جوانب الإناء دفعاً – ولو بغيـــر إرادته – إلى الخارج فيـــتمدد.. ولعل الإناء يـــصرخ شاكيـــا "أكاد أنفجر"، والفخارى يـــشاركه ألمه، لكنها الخطة الإلهية الحكيمة، وجزء من الســـر المكنون؛ "سر الله".

هكذا وضعتكم يد العناية أيها الأعزاء فوق الدولاب، لســـرٍّ كبير لا نعلمه كلـــه الآن، "لأننا ننظر فى لغز"، ونرى الحقيـــقة منعكســـة على "مرآة" حواســـنا وإدراكنا، وهى مرآة قاصرة ومســـكينة فى كل الأحوال (١كو١٣).. على أننا يقيناً سنفهم فيما بعد (يو١٣).

لكننى من قلب يـــشارككم ألمكم، أرى معكم فقط هذه الزاوية الواحدة من الأمر، وهى أن أحد أســباب ما حدث هو خطة الله الدقيـــقة لتمديد الإناء، وتضخيم سعته تمهيداً لملئه بالنعمة الفائقة.

لـذلك فإن البرية هى فرصة الله الذهبية لتمديد الأوانى، التى يختارها لهذه الـشهادة، من خلال الألم.. كما أنها فرصته الذهبية بالأحرى لملء الفراغ – الناشئ من التمديد – بنعمته الفائقة، ليكون أصحاب هذا التمديد ومالكو هذه السعة الضخمة شـهوداً **مؤقتين** فى حياتهم، على الأرض، للنعمة التى نالوها، لكن أيضاً ليكونوا فى النهايـــة شهوداً **دهريـــين** لهذه النعمة "فِي الدُّهُورِ الآتِيَةِ".. ويتمكن الله بذلك من أن يظهر فى تلك الدهور (الآتية) غنى نعمته الفائقة التى أجزلها لهم فى المسيح يسوع، خلال ســـياحتهم.. ومن ثم يفتخر بهم مستقبلاً، بوضعهم فى متحف نعمته، كشهود دائمين لهذه النعمة الفائقة التى استوعبوها.

ولـــعل متحف النعمة فى المستقبل يحوى أقساماً كثيرة، كل قسم منها يضم نوعية واحدة من الأحجام، وربما احتوت الأقسام الخارجية على الأوانى الصغيرة.. وكلـــما توغلنا فى هذا المتحف إلى الداخل، وجدنا الأقســام التى تضم النوعيـــات الأكبر، حتى القسم الأخير الذى يضم أكبر الأوانى على الإطلاق.

وقد قرَّ فى اعتقادى منذ سنين بعيدة – وحتى الآن – أن هذا القسم الداخلى والأخيـــر من المتحف، والذى يضم أكبر الأوانى حجماً، وبالتالى يشهد لأوفر نعمة حـــصلت عليها هذه الأوانى، لا يضم غير الرسول بولس وحده – هكذا اعتقد – فقد

كان "أول الــخطاة" إذ كان "مُجَدِّفًا وَمُضْطَهِدًا وَمُفْتَرِيـًا" (١تى١:١٣).. عدا كونه أكثر التاعبين تعباً، وأوفر المجلودين جلدات، وأطول المســجونين مُدَداً (٢كو١٢)، وأشهر المضروبين بشوكة (٢كو١٢).. إلخ.

وقـد وضعت نفسى فى القسم قبل الأخير، وجاء يوم ظننت فيه نفسى أننى الوحيد فى هذا القسم، وربما كان يوماً واحداً حرفياً، الذى لازمنى فيه هذا الظن، لأنى سرعان ما اكتشفت أن هناك كثيرون قد سبقونى إليه من المذكورين فى الكتاب ومن غير المذكورين، كما أنى لا أفتأ أن أجد كل يوم من ينضمون لهذا القسم.

وأرجو أن تسامحونى من أجل فكر ردئ روادنى من جهتكم مدة لحظات.. فـور سماعى للحادث المؤسف، لقد شعرت بالغيرة منكم والحسد حيالكم، إذا وجدتكم تنضمون - وبالدليــل الدامغ والدامى - لهذا القســم وتتقدمون فيه وتتفوقون على غــيركم فى سعة إنائكم التى وصلتم إليها، وفى اختباركم الأكيد للنعمة التى تقف فى مواجهة هذا الفراغ فتملأه.

وبيــنما أنا مندهشٌ منكم وحاســدٌ لــكم، على هذه الســعة وعلى النعمة المصاحبة لها يقيناً، إذ بى وكأنى أسمع صوت السيد ينتهرنى: أفسح الطريق يارجل ولا تتصدر هكذا فى هذا المكان، ظاناً فى نفســك ما تظن.. فلســت وحدك فى هذا القســم.. أم أنه أنشئ من أجلك.. أم إليــك انتهت نعمة الله.. أم عليــك وقَفَتْ دون غيــرك.. لقد جئتكم مملوءاً نعمة وحقّاً، ومن ملئ أنتم جميعاً.. ألم تســمع جميعاً.. أخذتم.. ونعمة فوق نعمة (يــو١:١٦).. ولســوف ترى العجب قريــباً عندما يفتح متحف النعمة.. فى موعده المحدد تماماً.. "فِي الدُّهُورِ الآتِيَةِ".

ولما ازدحم هذ القســم قبل الأخير الذى تواجدت فيه، رأيت نفسى أتراجع إلى القســم الذى يســبقه فى الخارج.. وهكذا مع مرور الأيام، تراجعت قسماً وراء قــسم، حتى أننى أجد نفسى الآن على الباب؛ باب متحف النعمة الخارجى، مع الذين

نالوا –مثلى– نعمة قليـلة بقدر ألمى القليـــل.. وهى وإن كانت نعمة بســيطة إذا قورنت بالنعمة المجزلة لكم، إلا أنها نعمة كافية.

أما الابنة (....)، فأقول لها ما قاله ســمعان (الشيخ) للعذراء مريم "وأنت أيضا يجوز فى نفســك سيف".. وهو ليس سيفاً حرفيًّا، بل سيف معنوى يتعامل مع النفس تماماً كما يتعامل الســيف الحديدى مع الجسد.. وهذا يماثل ما قيل عن سيدنا "فِي الْحَدِيدِ دَخَلَتْ نَفْسُــهُ" (مز١٠٥:١٨).. أى تعاملت نفسه مع حديد معنوى.. أو بــالحرى دخلت وحُبست نفسه فى حديد معنوى، مثلما أُوذيت وحُبست رجلى يوسف فى حديــد حرفىٍّ.. تريد الرِّجل أن تتحرك فتصطدم بالحديد.. كذلك تريد النفس أن تأخذ حريــتها كالعادة فى الظروف الطبيعية.. أو حتى أن تتبلَّج[١] (أى١٠:٢٠) فى الظروف غير الطبيعية.. فتصطدم بما يشبه الحديد يربطها ويغلُّها ويشق وسطها إن هى حاولت اختراقه.. وهو اختبار نفسى ما أمرَّه.. فلا النفس استطاعت أن تنطلق.. ولا حتى أن تتبلَّج.. بسبب هذا الحديد.

ألا من دواء للســـيف؟.. بلى.. وإن كان علاج الشوكة هو النعمة **الكافية** (٢كو١٢) فما هو علاج السيف وهو أعتى من الشوكة؟.. النعمة أيضاً، ولكن النعمة **الفائقة**.. فالنعمة لا تتوقف عن محطة الشوكة فقط.. بل يـســيــر قطارها المحمَّل لــيصل إلى محطة السيف فيغمرها بملئه.. إنها تعالج السيف وما يصنعه السيف فى النفس على المدى القصير، وعلى المدى الطويل.. لماذا؟.. لأنها نعمة فائقة.

فهى ليســـت فقط، نعمة **كافية للشوكة**؛ بل أيضاً **نعمة فائقة للسيف**، كما أنها لا تتعامل معنا فقط فى ضوء احتيــاجاتنا كبشر، بل فى ضوء الـــمتحف القادم – متحف النعمة الدهرى – الذى يـســتعرض الله فيه "غِنَى نِعْمَتِهِ الْفَائِقَ" (أف٢:٧).. التى أُجزلت يوماً إلى أوانٍ ضعيفة لم يكن لها فضل – نعم فضل – فى اختيار حجمها أو ســـعتها، بل ألزمها الفخارى الحكيم – إلزاماً – بأن توضع على

الدولاب، متألمة وباكيـــة، حتى تتمدد ويزداد فراغها الداخلى، فتســتمطر بذلك هذه النعمة الفائقة، ويتحقق **الآن** غرض الله فيها.. ويُســتعرض **مســتقبلاً** "سر الله" من خلالها.. والكل مرتبط بمجد الله.. "ولسوف ترين مجد الله" (يو ١١).

فالآن لا تدريـــن ما يـــصنعه الـحكيـم
بل ســوف تعملين أن رب الـــسـما رحيـم

صلواتى من أجلكم
قلبى معكم
والرب معكم

إسحق إسكندر

أمسكت بيدى اليمنى

رسالة إلى فتاة متحيرة
فى الاختيار بين أكثر من
خطيب تقدم لها

أمسكت بيدى اليمنى
(مز ٧٣)

الأقـــــصر فى
٢٨/ ١/ ١٩٨٤
إبنتى الـــغاليـــة
الـــــنعمة معك

حانٌ إليـــكم جميعاً، كالمرضعة إلى أولادها (اتس٢).. وعندى كلامٌ كثيرٌ إليك.. لكن.. يعوزنى الوقت.

لذلك فسأكتفى بكلمات قليلة، إلحاقاً للكلمات السابقة.

طلبتُ منكِ فى الخطاب الســـابق أن تطرحى نفسك على نعمة الرب، ولا تبذلى أى مجهودٍ من جانبك.. بل ستحملك النعمة، وترفعك.

واليـــوم أكتب إليك عن كيفية فهمنا لمشيئة الرب، وهل هناك دورٌ لنا فى هذا الأمر، وإن وُجد هذا الدور فما هو حجمه؟

وحتى لا أطيـــل عليـــك، فهناك ثلاث خطواتٍ متتابعةٍ نصلُ بها إلى فكر الرب.. أو يصلُ الرب بنا عن طريقها إلى فكره.

الخطوة الأولى: المكتوب، وفى هذا يقول المرنم "ســـِرَاجٌ لِرِجْلِي كَلاَمُكَ وَنُورٌ لِسَـبِيــلِي" (مز١١٩:١٠٥).. فالمكتوب يـــحدد لنا الخطوط الاســـتراتيجية العريضة، لكنه لا يتدخّل فى تفاصيل حياتنا الصغيرة.

لذلك فلابد لنا من خطواتٍ أخرى.

وهذا يأتى بنا إلى **الخطوة الثانية**، وهى الراحة القلبية الشخصية، وهذه ما قال عنها المرنم "برأيك تهدينى" (مز٧٣).. وما قال عنها الرســـول: "لأَنَّ كُلَّ الَّذِينَ يَنْقَادُونَ بِرُوحِ اللهِ، فَأُولَئِكَ هُمْ أَبْنَاءُ اللهِ" (رو٨:١٤).

وهذه الراحة وإن كان يُـعوّل عليها فى **كثيرٍ** من الحالات، لكن لأننا بشرٌ وعرضةٌ لأن تختلّ أجهزة اسـتقبالنا، أو تتعطّل، لسـبب أو لآخر، فلا ننقاد بروح الله.. لذلك فإنه لا يُعوّل عليها فى **جميع** الحالات، ولا سيّما عندما نكون مضطربين أو ملتبِسة رؤيتنا.

لقد حدث مع أليشع مرَةً، بسـبب شر ملك إسـرائيل أن التبس عليه الأمر وتاه منه فكر الرب.. فماذا فعل؟.. لم يـتدروش، أو يـشترى الترام، أو يدَّعى فهم مشيئة الرب، بل قال "إيتونى بعواد" (٢مل٣).. وعلى قدر ما تسـعفنى الذاكرة فإن المستر وليم كلى هو من كتب بهذا الخصوص ما معناه وليس نصّه "أنه (أى اليشع) كان بحاجة لأن يبتعد عن المشهد المزعج كليّةً وأن يسـمو عليه حتى يكون له فكر الرب دون تشويش فطلب العواد".. عسـى أن تسهم الموسيقى فى إخراجه من تلك الدائرة التى شوّشت عليـه، وتسـاعد فى علاج حيرته، "وَلَمَّا ضَرَبَ الْعَوَّادُ بِالْعُودِ كَانَتْ عَلَيْهِ يَدُ الرَّبِّ" (٢مل٣:١٥).. ثم تنبأ.

لذلك فلا بأس من التريُّـض، والاسـتماع إلى الموسـيقى، والخروج إلى دوائر أخرى خلاف الـتى أعيـشها، والـتى ارتبطت بمشهد ما.. إن هذا على أى الأحوال يـسـاعد على الخروج من دائرة الانحصار فى ذاتى وظروفى، وبالتالى يساهم فى علاج أجهزة استقبالى لفكر الرب.

لكن لنفترض اسـتمرار عطل تلك الأجهزة أو احتياجها لفُسحةٍ من الوقت قـد تطول حتى تُعالج (هذه الأجهزة)، بينما هناك قضيّةٌ تتطلب بتّاً عاجلاً ولا مجال للانتظار، فالقضيّةُ مسـتعجلة، والأجهزة معطّلةٌ.. "لأَنَّ الأَجِنَّةَ دَنَتْ إِلَى الْمَوْلِدِ وَلاَ قُوَّةَ عَلَى الْوِلاَدَةِ" (إش٣٧:٣).. فماذا أفعل؟.. أأنتظر حتى يـموت الجنيـن وأحمل وزره مدى الأيام.. أم ماذا؟

إن هذا يــأتى بنا إلـــى **الخطوة الثالثة** فى هذه الســلســلة، وهى مكملةٌ للخطوتين السابقتين.

إن هذه الخطوة هى قيــادة الرب لى من خلال الظروف، وفى هذا يــقول المرنم.. "أَمْسَكْتَ بِيَدِي الْيُمْنَى" (مز٧٣:٢٣).

فكلما يمسك الأب بيد ابنه خلال سيره لئلا يتعثر أو تصطدم بحجر رجله، هكذا الآب السماوى يفعل معنا، ويمسك بأيدينا.

إن هذا بخلاف الإرشاد الــذى ذكرته لك فى الخطوة الثانيــة.. فالإرشاد يتعامل مع إدراكى، فأتبع ذلك الإرشاد بإرادتى، بينما الإمساك بيدى هو عمل خارجٌ عن إرادتى، صحيح أنه لا يتعارض بالضرورة مع هذه الإرادة، لكنه خارجٌ عنها.. والله يلجأ إلى ذلك لأنه يرانى فى حالة لا تسمح لى باتخاذ قرار إرادى.. إن الإرادة هنا قد تكون خاضعة للرب، ولا تمانع فى تنفيــذ فكره متى عرفته، لكنها تائهةٌ عن هذا الفكر الصحيــح، كالطفل التائه فى الزحام والضوضاء، ولا يصله صوت أبيه فيحتاج إلى يده.

لحظتها يبرز الله فى المشهد ليقودنى قيادةً، أو قولى ليســوقنى سوقاً، ليس قســراً علىَّ، بل عوناً لى، وهو يســتخدم فى ذلك مايشاء من الظروف – إيجاباً – حتى يــهدينى إلى رأى ما، أو يســتخدم ما يشاء من "الحوّاشات" – ســلباً – حتى يمنعنى من عمل ما.

تسألين وماهى الظروف الإيجابية، أو الموانع السلبية التى يستخدمها الرب معى؟.. وهل هناك علامات محددة أضعها للرب حتى أعرف فكره عن طريقها؟

إن جدعون على ســبيل المثال قد حدد علامةً للرب، طالباً فكره، من جهة الــحرب، قائلا له: "إِنْ كُنْتَ تُخَلِّصُ بِيَدِي إِسْرَائِيلَ.... فَهَا إِنِّي وَاضِعٌ جَزَّةَ الصُّوفِ

فِـي الْبَيْدَرِ، فَإِنْ كَانَ طَلٌّ عَلَى الْجَزَّةِ وَحْدَهَا، وَجَفَافٌ عَلَى الأَرْضِ كُلِّهَا، عَلِمْتُ أَنَّكَ تُخَلِّصُ بِيَدِي إِسْـرَائِيلَ" (قض٦:٣٦،٣٧)، وكان كذلك.. ثم طلب علامة عكسـية (قض٦:٣٩،٤٠)، فكان ما طلـبه.. فهل لنا الآن – على نفس القيـاس– أن نضع علامات للرب يرشدنا بها أو يقودنا من خلالها؟

أقول لك كلا.. تسـألين: لماذا؟.. أقول لك أن مؤمنى العهد القديم كانوا داخل دائرة المسـئولية إيّاها، والتى ذكرتها لك فى خطابى السابق.. لقد كانوا تحت الناموس، وبالتالى طرفاً فى القضيـة.. الله طرفٌ، وهم طرفٌ آخر.. الله ندٌّ، وهم ندٌّ آخر.. يـقفون على قدم المسـاواة معه فى الواجبات.. فواجبهم أن يـطيعوا.. وواجب الله أن يباركهم.. كلٌّ يقوم بدوره.. هم بالطاعة، والله بالبركة.

لكنهم فشلوا.. وأخرج الله الانسـان من تحت الناموس بعد أن فشل.. وهذا موضوع آخر.

لـذلك فإننا الآن فى العهد الجديـد نقرأ: "لَسْـتُمْ تَحْتَ النَّامُوسِ بَلْ تَحْتَ النِّعْمَةِ" (رو٦:١٤).

أى لسـنا طرفاً فى أىِّ قضيـَّة مع الله، ابتداءً من قضيَّة خلاصِنا.. وإلى قضيَّة شعور رؤوسنا وما يعتريها من سقوطٍ أو شيبٍ.

فلديه كشف بجميع شعور رؤوسنا (لو١٢:٧).. به بابٌ يندرج تحته الشعرُ الأسود، من رقم كذا إلى رقم كذا.. وباب للشعر الأشيب من رقم كذا إلى رقم كذا.. وتواريخ مشيب كل شعرة.. وباب لما يسـقط من رقم كذا إلى رقم كذا.. وتواريخ سـقوط كل شعرة.. وإلا فما معنى قول الـرب: "وَأَمَّا أَنْتُمْ فَحَتَّى شُعُورُ رُؤُوسِـكُمْ جَمِيـعُهَا مُحْصَاةٌ" (مت١٠:٣٠).. أو ليسـت كلمة محصاة من الإحصاء؟.. بمعنى أنها مرقَّمةٌ، ومفهرسةٌ، ومبوَّبة، ومؤرَّخة.

لذلك فالله هو الطرف الوحيد فى القضية[٢].

كلِّ القضيـــة.. من البطن.. من الرحم.. وإلى الشيـــخوخة.. وإلى الشيبة.. (إش٤:٤٦).. أو بمعنى آخر الله طرف والرّب يســـوع المسيح هو الطرف الآخر، نيابة عنا.. وهذا موضوع آخر.

لذلك فَأَنْ يـــضع جدعون – أو غيره – علاماتٍ يحدّدها للرب، كان أمراً يتناسب مه كونهم طرفاً فى القضية.

وكما هو معروفٌ فإن المفاوضات دائماً قائمةٌ بين الأطراف،كذلك المناقشات والمساومات وربما التقاضى أيضاً.. إلى آخر ما يدور بين الأطراف فى أيّة قضيّة.

والعلامات فى العهد القديم كانت جزءاً مما يدور بين الأطراف.

وكان لأى طرفٍ الحرية فى أن يقدّم مبادرةً.

فـــإن قدّمها الله كان بها.. وقد حدث ذلك عندما أُعلن فى حلم لجدعون عن رغيـــف الشّعيـــر الذى يـــتدحرج فى محلّة المديانين، وكان مبادرةً وعلامةً من الله لجدعون (قض٧).

أما إن قدمها جدعون فلا بأس أيـــضاً لأنه طرفٌ، وقد حدث ذلـــك عندما اختار جدعون علامة الجزّة، فكانت مبادرة منه لله.

لكننا فى العهد الجديد، كما قلت لك، لســـنا تحت الناموس.. وبالتالى فلسنا طرفاً فى أى موضوع مع الله.. وبالـــتالى فليـــس من حقنا أن نقدم مباردة أو نضع علامة.. لقد ثبت فشل الإنســـان تحت الناموس.. وركنه الله على جانب.. بل وحكم عليـــه بالموت.. ونُفِّذَ الحكم فى الصليب.. لقد ناب عنا الرّب فى الصليب، بموته.. وقام بكلِّ شئ.. وهو الآن يـــنوب عنا، بحيـــاته.. ويقوم بكلِّ شئ.. لذلك فمن غير المنطقى أن يبرز الإنسان فى المشهد بعد بكلِّ هذا التاريخ.. ويعود إلى الحياة –بعدما مات شرعاً مع المسيح– ليكون طرفاً من جديد.. ويقدم مبادرةً، أو يحدّد علامةً.

لذلك فإن مبدأ العلامات التى يحدّدها الإنســـان للرّب مبدأ مرفوض تماماً، فى العهد الجديد.

إذاً كيف يقودنى الرب ويمسك بيدى؟

سألتنى الشابات فى مخيم أسوان(١٩٨٣).. عن هذا الموضوع وكان الرد:

* عندما ركبتن القطار إلى أســـوان، ليصل بكنّ فى منتصف الليل، هل كنتنّ قد زرتنّ أسوان من قبل؟

** قلن: كلاّ.

* وهل كنتنّ تعرفن أحداً من إخوة أسوان من قبل؟

** كلاّ.

* وهل كان معكنّ عنوان الاجتماع أو عنوان أى أخ؟

** كلاّ.

* إذاً كيف تجاسرتنّ على الركوب إلى بلدٍ بعيد كلّ هذا البعد، ولم تزرنه من قبل، ولا تعرفن فيـــه أحداً ولا عنواناً، وتصلن إليـــه بعد منتصف الليل؟

** إن الإخوة فى أسوان وعدوا أن ينتظرونا على رصيف المحطة.

* ألم تَخَفْنَ ألاّ ينتظركنّ أحدٌ؟

** كلاّ.

* لماذا؟

** لأن إخوة أسوان مسئولون.

* ألم تخشين ألا تعرفونهم؟

** كلاّ.

* لماذا؟

** هم كانوا سيُعَرِّفوننَا بأنفسهم.

* كيف؟

** بطريقة ما.. فلن يعدموا وسيلة.

* إذاً فهم فى تلك الســـاعة كانوا مسئولين عنكنّ أكثر من مسؤليتكنّ عن أنفسكنّ.

** نعم.

* ومسئولين أيضاً عن إظهار أنفسهم لكنّ.

** نعم.

* أتعرفن لماذا هم مسئولون؟

** لماذا؟

* لأنهم الطرفُ الأكبر فى الأمر، بينما أنتنّ الطرف الأصغر.

** نعم

* كـم بالحرى يكون الأمرُ إذاً بالنسبة لله، وهو ليس فقط الطرفُ الأكبر، بل الطرف الأوحد، المُخول له إرشادنا.

إنه مسئولٌ عنا لاسيما فى الساعات الحرجة.

وحرٌ فى اختيار الكيفية التى يعلن لنا بها ذاته، أو يكشف لنا بها فكره.

فإيـــليـــا يـــلتبس عليه الأمر، ولا يعرفه إلا **بالصوت المنخفض الخفيف** (١مل١٩).

ومريم تغشى الدموع عينيها ولا تراه إلا **عندما يناديها "يا مريم"** (يو٢٠).

وتلميذى عمواس تُمْسَــك أعينهما عن معرفته ولا تنفتحان ألا **عند كســر الخبز** (لو٢٤).

وهكذا لا توجد طريـــقة واحدة يكشف لنا بها الرب عن ذاته أو عن فكره فى جميع الأحوال.

وتلاحظيـــن أنه لســنا نحن الذيـــن "نشمشم" إن جاز التعبيـــر – كالكلب البوليسى – حتى نهتدى إلى معرفة فكره بل إن ذلك من اختصاصه وحده، أن يعلن لنا الكيفية التى يكشف لنا بها عن فكره بطريقة واضحة، دون "شمشمة" منا.

فـــهو حرٌّ فى مشيئته.. وأيضاً حرٌّ فى اختيار الكيفية التى يعلن لنا بها هذه المشيئة، أو يمسك من خلال هذه الكيفية بأيدينا.

فلـــنركب القطار إذاً بالإيـــمان، وليـــصل بنا ولو فى حلوكة الظلام.. إلى أســـوان، أو حتى كردفان، مادمنا سنجده على رصيف المحطة فى انتظارنا.. ليعلن لنا ذاته وفكره بكيـــفية جديدة علينا.. لكنها واضحةٌ ومنيرةٌ، ومجيدةٌ.. لا تحتاج إلى أى مجهودٍ.. ولا تحتمل أى لبس.

فقط "سَـلِّمْ لِلرَّبِّ طَرِيـــقَكَ وَاتَّكِلْ عَلَيْهِ وَهُوَ يُجْرِي" (مز٣٧:٥).. "تَوَكَّلْ عَلَى الرَّبِّ بِكُلِّ قَلْبِكَ، وَعَلَى فَهْمِكَ لاَ تَعْتَمِدْ" (أم٣:٥).

تســـألين سؤالاً أخيراً: ومتى يصلُ القطارُ بى؟.. وأرسو إلى محطة ما؟.. إنى فى حيرة من أمرى، وفى عجلة لتعبى... إنى "أَتَحَيَّرُ فِي كُرْبَتِي وَأَضْطَرِبُ.... يَـــمْخَضُ قَلْبِي فِي دَاخِلِي.... فَقُلْتُ: «لَيْتَ لِي جَنَاحًا كَالْحَمَامَةِ، فَأَطِيرَ وَأَسْـتَرِيحَ! هأَنَذَا كُنْتُ أَبْعُدُ هَارِبًا.... كُنْتُ أُســـرِعُ فِي نَجَاتِي مِنَ الرِّيحِ الْعَاصِفَةِ، وَمِنَ النَّوْءِ" (مز٥٥:٢-٨).. لقد تعبت من الانتظار.. وطالت السفرة وفاض بى الكيل.. "خَوْفٌ وَرَعْدَةٌ أَتَيَا عَلَيَّ، وَغَشِيَنِي رُعْبٌ" (مز٥٥:٥).. "تُرِيعُنِي بِالأَحْلاَمِ، وَتُرْهِبُنِي بِرُؤًى" (أى٧:١٤).

أريد أن أصل إلى رأيٍ ما؛ أىِّ رأى.. وأرسو إلى محطةٍ ما؛ أىِّ محطّة.

يـــردُّ عليـــك المرنم قائلاً: "انْتَظِرِ الرَّبَّ. لِيَتَشَدَّدْ وَلْيَتَشَجَّعْ قَلْبُكَ، وَانْتَظِرِ الرَّبَّ" (مز٢٧:١٤).

* *تقولين إلى متى الانتظار؟
* يــقول الجامعة: "لِكُلِّ شَيْءٍ زَمَانٌ، وَلِكُلِّ أَمْرٍ تَحْتَ السَّـمَاوَاتِ وَقْتٌ" (جا٣:١).
* *تقولين ولماذا لا يســعفنى الآن ويريحنى فوراً.. هل قَصَرَتْ يده عن الفداء؟.. وهل ليس فيه قدرة للإنقاذ؟ (إش٥٠:٢).
* أقول لك: هناك سببان لتأنِّيه.

الأول: إننا أحيانا نكون كالطِّفل الصغير الذى يريد أن يعرف إجابة المسألة الحسابية، ليدوِّنها فى كراســـته، دون أن يعرف كيف حصل على الإجابة، ولا ما هى الخطوات التى تُتَّبع لحلِّ المســألة.. والمدرِّس لا يـــريد ذلك.. إنه يريد أن يـدرّبه على خطوات الحل، لا أن يــعلن له الإجابة مباشرةً.. وإلاّ فما فائدة المدرسة؟

والله فى مدرســته يــريــد تدريبنا.. بإمكانه أن يعطينا الحلَّ مباشرةً، ويـــرشدنا لرأيه دون تدريب، لكنه لا يفعل ذلك.. بل على العكس إن الزمن لديـــه مســخَّرٌ لتدريبنا.. ولا مانع عنده أن تطول فترة تدريبنا، حتى نخالها دهراً.. لكن "يَــوْمًا وَاحِدًا عِنْدَ الرَّبِّ كَأَلْفِ سَــنَةٍ، وَأَلْفَ سَــنَةٍ كَيَوْمٍ وَاحِدٍ" (٢بــط٣:٨).. بل "كهزيع من الليل" (مز٩٠)، أى كربُع ليلة أو ثُمْن يوم، أو ثلاث ســاعات.. أى أنَّ حوالى تســعة ملايين ساعة تتساوي عنده مع ثلاث ساعات.. أى الساعة بـ ٣ مليون ساعة.

أو أننا أحيـــانا نكون كالطفل الذى يــدخل من الخارج إلى أمه باكيـــاً وطـــالباً طعاماً، والأمُّ تقول له: انتظر قليلاً ريثما ينضج الطعام.. لكن من له بالـــصبر.. إنه طفلٌ، فيـــستمر صراخه.. لكن ما الذى فى مقدرة الأم أن تفعله؟.. أتعطيه الطعام نيئاً؟.. كلا فليصرخ إذاً.. فربما أفاد الصراخ رئيته.

لكن متى نضج الطّعام فإن الأم لا تتوانى عن إطعام صغيرها سريعاً.

هكذا يـفعل الله معنا.. فقد قال الرب: "أَفَلاَ يُـنْصِفُ اللهُ مُخْتَارِيــهِ، الصَّارِخِينَ إِلَيْهِ نَهَارًا وَلَيْلاً، وَهُوَ مُتَمَهِّلٌ عَلَيْهِمْ؟ (حتى يتم التدريب والنضج) أَقُولُ لَـكُمْ: إِنَّهُ يُـنْصِفُهُمْ سَـرِيــعًا! (ذلـــك متى تم التدريـب والنضج)" (لوقا٧:٧،٨).

أما السـبب **الثانى** لتأنّيه، فهو أنه فى حيرتنا أو مرضنا.. أو أىّ وضع مؤلم نكون عـليه قبل استجابة صلواتنا، نكون أقرب ما نكون إليه، فإن استجاب لنا فوراً ربما فرحنا بالعطيـــة وابتعدنا عنه - لا بعداً كبيراً كأن نضلّ أو ننحرف - بل بعداً نسـبيـاً، وهو أن نكون قريبين منه لكن من بعيد.. كما فعل بطرس "وَكَانَ بُطْرُسُ قَدْ تَبِعَهُ مِنْ بَعِيــدٍ" (مر١٤:٥٤).. أى نكون قريبين منه لكن ليس بالدرجة الكافية لإجراء عمله فينا.

والله يـــريدنا لا أن نكون قريبين منه فقط، بل ملتصقين به، كما يقول المرنم "اِلْتَصَقَتْ نَفْسِـي بِكَ" (مز٦٣:٨).. أو كما يقول الرسول: "وَأَمَّا مَنِ الْتَصَقَ بِالرَّبِّ" (١كو٦:١٧).

فالحيـرة يـــا ابنتى، والمرض، والتجارب، أو قولى الضعف عموماً يــجعلنا قريبين منه دون أن ندرى، وفى هذه الفترة يجرى فينا عمله دون أن ندرى أيـضاً، فيـصقلنا ويدرّبنا ويؤهلنا للبرنامج الذى أعده لنا، للسـلوك، والشهادة، والخدمة، أيضاً دون أن ندرى.

إن الله يــســتثمر ضعفاتنا، ومن ضمنها الحيـرة، والألم، و... إلخ.. لمجده، ولخيرنا، أيضاً دون أن ندرى.. لكننا سنفهم فيما بعد (يو١٣).

لا أعـلم إن كانت معدتك تتحمل ما سأسرده عليك الآن أم لا، مع أنه ليس سراً، لكنى أكتبه الآن لتشجيعك.. وربما تهضمينه فى المستقبل.

لقد طالت رحلة كاتب هذه السطور، ولم يقف قطاره على أيِّ المحطات.. قرأ كثيراً عن الرحلة وعن أتعابها، لكنَّه لم يكن يتصوَّرها بهذا القدر الرهيب من المتاعب.. وليت أمرُه وقف عند حد متاعب الرحلة، أو حيرته وألمه لما يقابله، بل ضايقه الجالسون فوق مقاعد القطار.. فتركها لهم ليتمشى فى الممرات، بين الكراسى... فطارده الذين فى الممرات.. فهرب إلى باب القطار.. فحاربه الذين عند الباب.

فطرأت له فكرةٌ خطيرةٌ.. ماذا لو نزل فى أول محطّة تصادفه؟.. بحسب مشيئة الرب التى كانت، أم بخلافها؟.. وليكن ما يكون.

لاسيَّما وأن بعض المحطَّات أرسلت له مُرحّبة بنزوله إلى أرصفتها، وفى أفضل مكان.

وها هى ذى كلُّ المحطات، يراها تَتْرَى أمامه أثناء سير القطار.. محطات الطوائف المسيحية جميعها.. واحدة تلو الأخرى.. محطة الإسلام.. محطة الإلحاد.. محطة المال.. محطة التشرد.. محطة الـ .. إلى آخر ما يقال، وما لا يصح قوله.. فماذا لو نزل فى أوّل محطة يقف فيها القطار؟.. وليكن ما يكون.

لكن كما لو كان القطار يعانده، فلم يقف على الإطلاق.. أوَ لَم يقل المرنم "أمسكت بيدى اليمنى".

فطرأت له فكرةٌ أرهبُ وأرعب.. إن كان القطار يعانده، ولا يقف فماذا لو فتح باب القطار ونزل منه أثناء سيره؟.. وليكن أيضاً ما يكون.. أهى ميتة؟.. فليكن، وهل هو حيٌّ حتى يخشى الموت؟.. أو ليس كلُّه موتاً؟.. فمادام موتٌ بموت، فليلق بنفسه، ولو وقع تحت العجلات، فعلى الأقل سيكون هناك نوعٌ من التغيير.

لكن ألا يوجد للقطار رئيس؟

أولاً تُوجد للأبواب حراس؟.. أم أن الأمر متسـيب كما ظنّ الرجل.. لقد ظنّ الرجل ذلك من ضيقة نفسـه، وتصور نفسـه حراً يفعل ما يشاء، وظنّ أنه لا يوجد من يمسك بيده اليمنى ولا اليسرى، ولا حتى بتلابيبه.

فـما أن همَّ بفعل فعلته حتى برز حارسٌ من الحراس، لم يره من قبل، ولم يكن يعرفه عن قرب.. بل قابله فى الشارع، كأنما الأرض انشقَّت وأخرجته.

وربما ظننتِ أن ذلك الحارس كان شخصاً عريض المنكبين، قوىّ البنيان، مفتول الـعضلات.. كلاّ لم يـكن كذلك على الإطلاق.. بل إنّ آخر ما كان يـظنّه الرَّجل أن يكون ذلك الشخص حارساً مكلفاً من الرئيس بمنعه من النزول العشوائى، والضياع تحت العجلات.

لقد كان ذلك الحارس فتاة رقيـقة، مؤمنة تقية، وفى مثل سـنك تقريباً أو أقلّ.. سـاقها إليـه رئيـس القطار لتمنعه من تنفيذ فكرته الرهيبة.. ألم يقل المرنم "أمسكت بيدى اليمنى".

وربـما وددت لو عرفت نهاية قصة الرجل.. لا مانع، فهى نهاية "سعيدة" على أى الأحوال.

لـم يقف قطارُه على أى محطّة حتى الآن (تاريخ كتابة هذا الخطاب)، لكن المحطة هى التى تجرى وراء قطاره، ستندهشين لهذا الكلام وتقولين كيف؟

لـكننى قرأت عن هذا الاختراع العجيب فى الخارج، وذلك لاختصار وقت المسـافرين، وهو أرصفة متحركة على قضبان تجرى بسرعة القطار وتلتصق به، فينزل الركاب من القطار إلى الرصيف، أثناء سـير الإثنين معاً بسرعة واحدة، ثم تـنفصل الأرصفة وتهدأ سرعتها وتقل حتى تقف، بينما يواصل القطار رحلته بنفس سرعته الأصلية.

إن رصيـــف المجد قد التصق بقطار الرّجل منذ زمن وجيـــز، وانفتح له الباب أخيـــراً، فانطلق الرجل كالطير الحبيس إلى ذلك الرصيف، تســرُّه انطلاقته، وتســـعده حريته.. تبهره المناظر، وتأخذه الإعلانات.. يخطو على الرصيف بحرية، ويجول فوقه بسعادة.

لقد ترك القطار بما فيـــه وبمن فيـــه، وها هو يرى القطار يســبقه بينما رصـــيفه يتأخر.. وكل يوم يزداد ابتعاد قطار الأحباء عن رصيفه، فالحياة تمضى.. وهو شبه غائب عن مآســيها، بما يراه ويســـعد به.. إنه ينفصل عن هذه المآســـى تدريجيّاً، ليلتقط ارهاصات المجد.

وإن تأنَّى الرب، سيقف رصيفه قريباً على المحطة النهائية.. بينما يواصل القطار رحلته حاملاً أحباءه وغيرهم.. فنعمّاً له بذلك لأنه ربحٌ، وأى ربحٍ[٣].

لأنه إن كان الـــرصيـــف بهذا البهاء، فكم ســـتكون المحطة.. وإن كانت مشارف المجد بهذه الروعة فكم سيكون المجد.

وعندما اوصى الرّجلُ رئيـــسَ القطار بك، أراه الرئيس رحلتك وما زالت طويلة.. ومحطتك النهائية ومازالت بعيدة.. أطال الله عمرك.

لكن أراه أيـــضاً، حيـــرتك وقد انتهت أو هَمَّتْ.. وتدريـــبك وقد فرغ أو أوشك.. ومحطتك التالية وقد أُدركت أو قَرُبَت.. ووجبتك وقد نضجت أو كادت.

فإلى وجبة هنيـــة أتركك.. وإلى محطة آمنة اسـلمك.. وإلى نعمة القدير أستودعك.

والرب معك

ومعكم جميعاً

إسحق إسكندر

ملاحق

ملحق١: البَلَجَةُ هى اتساع المسافة بين الحاجبين.. إشارة لانفراج الأسارير.. وبَلِجَ الصدر أى انشرح.. ويقال بليج الوجه منشرح الصدر – لسان العرب.. لذلك فأتبلج (أى١٠:٢٠) تعنى أنشرح أو ألتقط أنفاسى.

ملحق٢: إن كان الله هو الطرف الأوحد، فهذا من جهة مسئوليته عن إرشادنا.. لكنه ليس الطرف الأوحد بصفة مطلقة.. وليس الطرف الأوحد من جهة مسئوليتنا لإطاعة إرشاده.. هو الطرف الأوحد المسئول عن الارشاد.. ونحن الطرف المسئول عن الطاعة.

ملحق٣: كان هذا اختبار الرجل وقتها.. متوقعاً انتهاء رحلته.. ووصوله إلى المحطة الأخيرة بنهاية عام ١٩٨٥.. لم يكن يدرى أن تمتد به الرحلة بعد ذلك، ستة وثلاثون عاماً حتى يومنا هذا (٢٠٢١).. تمتع فيها بلمحة من المجد، قبل أن يصل إلى المجد.. وبرب المجد، قبل أن يرى عياناً رب المجد.. له كل المجد.

فى هذا العدد

- ما معنى النعمة ؟
- لمن تعطى النعمة ؟
- هل للنعمة أنواع ؟
- هل توجد النعمة فى المجد ؟
- كيف نعرف مشيئة الرب ؟

العدد القادم
بمشيئة الرب
أنصبة فى الصليب

تحت الطبع
أنصبة فى القيامة



تطلب هذه السلسلة
من المكتبات المسيحية

